(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين ٠

أما بعد :

أرشد القران الكريم إلى آداب التّعايش مع ما ينزل بالإنسان من محن وبلاء؟ ، بل حتى في أعسر ساعة تمر به في ميدان القتال، أرشده إلى آداب يتعايش بها في ذلك المكان ، بل بلغ من توجيه القرآن الكريم أن علم المسلم آداب التعايش مع غير المسلم ، فيحفظ ماله ، ويكرمه لأن له حق الحياة ، وان يعامله بالعدل فلا يبغي عليه ٠

وحاولنا أن نميّز بين دعوة القرآن إلى التعايش مع غير المسلمين ، وبين دعوة المتساهلين في دعوتهم المتنازلين عن الكثير من المبادئ والقيم التي يجب التمسك بها وعدم التنازل عنها ، وذكرنا مقارنة موجزة بين معاملة المسلمين لغيرهم في داخل البلاد الإسلاميَّة ، ومعاملة غير المسلمين لنا ٠

لهذه المعاني السّامية التي اشتمل عليها القران الكريم ، وللإسهام في خدمة كتاب الله أولا ، ولتقديم شيء في زمن هذه الفتن التي تعصف بالأمة ، رأينا أن يكون بحثنا (آداب التعايش مع اهل الكتاب في القران الكريم واثرها في السلم المجتمعي) ٠

وقد قسمت بحثنا هذا الى مقدمة ومبحثين و خاتمة :

تناولنا في المقدمة اهمية الموضوع وسبب اختيارنا له وخطة بحثنا ٠

اما المبحث الاول فكان :فكان التعريف بالآداب والتعايش لغة واصطلاحاً ،

وخصّصنا المبحث الثاني : للحديث عن آداب تعايش المسلمين مع اهل الكتاب٠

أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج ٠

وفي الختام نسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به المسلمين ، فما كان فيه من صواب فهو فضل الله ، وما كان فيه من نقص وخلل فمن انفسنا والشيطان ٠

المبحث الاول

تعريف الادآب والتعايش لغة واصطلاحا

المطلب الاول: تعريف الآداب لغة واصطلاحا:

اولا: الآداب لغة : جمع أدَب ، مثل سَبَب وأسباب ، وهو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ، فيقال:(أدَّبه)، أي: راضه على محاسن الأخلاق ولقّنه فنون الأدب، وسمي الأدب أدبا؛ لأنه يؤدِّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح(١)، ثم تطورت لفظة(أدب) التي تعني الأخلاق وتعني التعليم فشملت جميع المعارف، ولاسيما البلاغة واللغة ، إذ عرف الأدب بأنه:(حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف)(٢)، فأصبحت كلمة أدب تدل على العلوم والمعارف ، وأصبح لكل شريحة من شرائح المجتمع آداب ، فأصبح يقال أدب العالم وأدب المتعلم،وأدب القاضي ، وأدب النفس ، بل إن هذه الكلمة شملت جميع مرافق الحياة (٣) ٠

١- ينظر: لسان العرب،لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى ٣٣/١ ،والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت،٩/١،و القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة- بيروت ١/ ٧٥ ٠

٢- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨)،دار الشعب – القاهرة(بدون تاريخ) ص٥٢٢ ٠

٣- ينظر: آداب التحية والسلام في الإسلام ، لفاضل النجادي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى :١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص١٧ ٠

ثانيا :تعريف الآداب اصطلاحا:

عرف الأدب بعدة تعريفات جاءت عن جمع من العلماء أفترقت في اللفظ وتقاربت في المعنى منها:

١- قال ابن حجر: (الأدب استعمال ما يحمد قولا وعملا ٠٠٠وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك) (١)٠

٢- وعرف ابن القيم الأدب بأنه: اجتماع خصال الخير في العبد ، ثم قسم الأدب إلى ثلاثة أنواع : أدب مع الله ﷻ ، وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه ، وأدب مع الخلق ؛ وعرف الأدب مع الخلق بقوله : هو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق(٢)٠

٣- وعرفه المباركفوري في تحفة الأحوذي فقال :(الأدب : هو حسن الأحوال من القيام والتعود وحسن الأخلاق) (٣) ٠ ومن جملة هذه الأقوال التي عرف بها العلماء كلمة الأدب يمكن أن نقول: إنَّ مفهوم الأدب يعني: التحلي بالأخلاق الحسنة في معاملة الخلق على اختلاف مراتبهم، والرفق بهم قولا وعملا على الوجه الذي أراده الشرع ٠

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب،كتاب الأدب ١٠/٤٠٠ ٠

٢- ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر أيوب ألزرعي أبي عبد الله المعروف بابن القيم ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة: الثانية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ٢/٣٧٥-٣٩٠ ٠

٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية – بيروت٤/٢١٨ ٠

المطلب الثاني: تعريف التعايش لغة واصطلاحا:

اولا:تعريف التعايش لغة:الأصل في اشتقاق كلمة التعايش هو :(عيش) ، والعيش المصدر، وكل شيء يعاش به ، أو فيه فهو معاش قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾(١)، ومعايش لا تهمز لأنها مفاعل من العيش واحدتها معيشة ، أي أن (الياء) أصلية وليست زائدة ، والأصل معيشة على وزن مفعلة وهي ما يعاش به من النبات والحيوان، ويقال (تعايشوا)عاشوا على الألفة والمودة ، وعايشه :عاش معه ٠(٢)

ثانيا: التعايش اصطلاحا :

لم ترد لفظة التعايش في القران الكريم أو السنة النبوية المشرفة ، ولكن وردت ألفاظ (معايش) (٣) ، و (معاشا) (٤) ، و (معيشة) (٥)، و (عيشة)(٦)٠

لذلك عرفها العلماء الذين ألفوا في هذا الباب بعدة تعاريف كل حسب فهمه لمعنى التعايش ، و من هذه التعاريف:

١- سورة النبأ: الآية ١١ ٠

٢- ينظر: كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران ١/ ٤١٥-٤١٦ ،و معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،١٩٤/٤،و لسان العرب لابن منظور ٦/ ٣٢١-٣٢٢،و المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، ٢/ ٦٣٩-٦٤٠ ٠

٣- سورة الأعراف:الآية ١٠ ٠

٤- سورة النبأ :الآية ١١ ٠

٥- سورة طه: الآية ١٢٤ ٠

٦- سورة الحاقة: الآية ٢١ ٠

١- التعايش : (كلمة تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة ، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم، ورغبة بعيشة مشتركة، لُحْمَتُها الألفة ،وسُداها المودة والثقة) (١)٠

٢- التعايش: (هو تعريف غير المسلمين بديننا ، والدعوة إليه ، فان لم يقبلوه دينا لهم، فينبغي حينئذ وضع القواعد التي تكفل حقن الدماء ، والتمكين للناس من السعي في الأرض وإقامة العدل بين الناس ، والتعاون فيما يمكن التعاون فيه) (٢) ٠

٣-التعايش : (هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش – أي الحياة- فيما بينهما على وفق قاعدة يحددانها ، وتمهيد السبل المؤدية إليه ، إذ إنَّ هناك فارقا بين أن يعيش الإنسان مع نفسه ، وبين أن يتعايش مع غيره ، ففي الحالة الأخيرة يقرر المرء أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثان ،أو مع أطراف أخرى ، تقوم على التوافق حول مصالح ، أو أهداف ، أو ضرورات مشتركة) (٣) ٠

من مفهوم هذه التعريفات الثلاثة نقول قد يطلق ويراد به عدة مدلولات ؛ لكن الذي نقصده هو التعريف الآتي:

القبول بحياة مستقرة قائمة على العدل والتسامح ؛ واحترام متبادل ؛ وتفاهم من كل طرف ٠

١- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، الأستاذ هاني المبارك، والدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر- دمشق،الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م،ص ١٢ ٠

٢- التقارب والتعايش مع غير المسلمين ، الدكتور محمد موسى الشريف ،دار ابن كثير- دمشق-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،ص ٧ ٠

٣- الحوار من اجل التعايش ، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار الشروق- القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م،ص ٧٨ ٠

وبناءً على ما قدمنا لمدلولي الآداب والتعايش في اللغة والاصطلاح، يمكن أن نخرج بمفهوم لآداب التعايش فنقول :

هما استعمال الأخلاق الحسنة في التعامل مع الخلق ، ومع الأحداث التي تمر على الإنسان ، على الوجه الذي أراده الشرع ، من أجل العيش في حياة مستقرة ، قائمة على ما يرضي الله ﷻ ، ورسوله ﷺ .

المبحث الثاني

آداب تعايش المسلمين مع أهل الكتاب

المطلب الأول :ثوابت آداب التعايش مع غير المسلمين

لابد من معرفة الثوابت التي لا يمكن أن يتنازل عنها أو يتناساها المسلم في أثناء تعايشه مع غير المسلمين في داخل الدولة الإسلامية ، فان التعايش مع غير المسلمين لا يعني أن يتنازل المسلم عن قيم الإسلام ومبادئه الأساسية ، ولا يعني التميع والإنحلال والذوبان معهم ، حتى لا تبقى للمسلم شخصية ولا للإسلام قيمة ، لذلك على المسلم معرفة ما يأتي خلال تحليه بآداب التعايش مع غير المسلم (١) :

أولا: علو دين الإسلام وتفرده بين الأديان ، فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ، وهو الدين المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل ، وانه الدين الخاتم لجميع الأديان، وان نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وان كل الكتب السماوية قد نسخت بنزول القران، فأي خلط في هذا المبدأ الثابت يؤدي إلى خلل في عقيدة المسلم وخلط في مفاهيمه الشرعية ، والأقليات المسلمة التي يغلب عليها الجهل والفقر معرضة لمثل هذا الخلط ، بل أصبح بعض المسلمين يشارك بني قومه من غير المسلمين بعضَ شعائر دينهم ، وسهل بذلك على بعض المسلمين الارتداد عن دين الإسلام بتأثيرات المنظمات التنصيرية وتحت ضغط الفقر والجهل ٠

ثانيا : حمل الغرب ومحاوريه على الاعتراف بالإسلام ورسولهﷺ ، وليس المراد من هذا الاعتراف ان يتركوا دينهم ؛ وإنما المراد اعتراف الغرب بالإسلام ورسولهﷺ ، مع

١- ينظر: التقارب والتعايش مع غير المسلمين ، للدكتور محمد موسى الشريف ،دار ابن كثير- دمشق-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ،ص٣٦ - ٤٦ ٠

حريتهم في البقاء على دينهم ، فان الغرب لا يزال ينكر هذين الأمرين ، وهذه هي المشكلة مع الغرب ، وهي مشكلة تقف عائقاً أمام دعوات التحاور والتقارب والتعايش مع أهل الأديان ٠

ثالثا : الحكم في الدول ذات الأغلبية المسلمة للشريعة الإسلامية ، لكن يعكر عليها بعض المجاذبات والمنازعات والأهواء والشهوات والضغوط الخارجية والداخلية ، ومن تلك الضغوط الادعاء بان تحكيم الشريعة الإسلامية يؤدي إلى الإضرار بمصالح الأقليات النصرانية أو غيرها في البلاد العربية والسلامية ، وكل هذه الدعاوي ظاهرٌ فسادها ؛ ذلك أن النصارى وغيرهم من الكفار عاشوا طويلا تحت حكم الشريعة الإسلامية ، فلم يزدهم ذلك إلا أمانا واطمئنانا ، فعاشوا في ظل عدل المسلمين ، لم يظلم منهم احد ٠

رابعا : حرية الاعتقاد ، فالإسلام ترك للناس الحرية الكاملة في اختيار الدين ، وان كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إليه ، فالإسلام يُقيم رسالته على القناعة الراسخة في النفس والذهن لا على الإكراه ، ولذلك فهو لا يقبل القسر والإكراه لملة الإسلام ، فأهل الكتاب في كنف الإسلام والمسلمين لا يمسهم من احد ضير أو إكراه وليس لأحد من المسلمين أن يعترضهم في أي من تصرفاتهم التي يجدون أنها منبثقة عن دياناتهم وشرائعهم (١)٠

خامسا : معرفة حقيقة التسامح التي أمر بها الإسلام مع غير المسلم، وعدم الخروج عن مضمونها ، فان بعض المسلمين حدث له لبسٌ في فهم معنى التسامح ، فقد استعمله بعض أبناء المسلمين غير مدركين لما تنطوي عليه من فلسفة علمانية لا

١- ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور أمير عبد العزيز ، دار السلام –القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م،ص١٣٧ ٠

تتناسب مع المفاهيم الإسلامية ، فينسبون إلى الإسلام ما ليس منه ، فيستغل أعداء الدين هذا الفهم فنسبوا إلى ديننا ما يشكك في العقيدة والسيرة النبوية الشريفة ، ولذلك يجب معرفة معنى التسامح، وضوابطه حتى لا نقع في حيز موالاة غير المسلمين(١)

ضوابط التسامح :

١- المحافظة على عقيدة الولاء والبراء :

وهي عقيدة ثابتة عند المسلمين لا يجوز لهم التخلي عنها ، والمراد بالموالاة : محبة المؤمنين ونصرتهم ، والتقرب إليهم ، وإظهار الود لهم بالأقوال، والأفعال ،والنوايا قصداً لله ، وقد جاء تشريع الموالاة والمعاداة مفصلا في القران الكريم ، وهو زاخر بالآيات التي تتحدث عن موالاة المؤمنين ، والبراءة من الكافرين (٢) ، منها:

قوله تعالى : **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ }**(٣) .

١- ينظر : تسامح الغرب مع المسلمين ، لعبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين ، دار ابن الجوزي – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ، ص ٦ .

٢- ينظر :التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ص ٣٨، و تسامح الغرب مع المسلمين ، ،ص٤٠-٤١ .

٣- سورة المجادلة : من الآية ٢٢ .

أما غير المسلمين فيجب التبرؤ منهم ، وهم أصناف كثيرة ، وهؤلاء على اختلافهم يجمعهم جامع عدم الدخول في الإسلام ، سواء أكانوا أهل كتاب ، أم مشركين عموما:

قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (١) .

قال الدكتور محمد موسى: وهناك جوانب في قضية الولاء والبراء ينبغي الالتفات إليها ، وإلا عكرت على دعاوي الحوار والتقارب والتعايش(٢) :

أولا: لا يعني الولاء والبراء عدم صلة الكافرين غير المحاربين والبر بهم والإحسان إليهم ، فقد قال تعالى :**{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** (٣) .

ثانيا : عدم إيذاء أولئك بغير وجه حق ، فقد قال ﷺ : "من قَتَلَ مُعَاهَدًا لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ من مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا "(٤). فهذه غاية الإحسان ؛ فهل عامَلَنا أهلُ الأديان الأخرى بعشر معشار ما أمرنا الإسلام أن نعاملهم؟!!

١- سورة المائدة : الآية ٥١ .

٢- التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ،ص٣٨-٤١ .

٣- سورة الممتحنة : الآية ٨ .

٤- أخرجه البخاري٣/١١٥٥، باب إثم من قتل مُعاهدا بغير جُرم ، رقم الحديث(٢٩٩٥).

ثالثا: يجب الأخذ على يد المسلم إن ظلم واحدا من أولئك ، فلا يجوز أن نترك المسلمين يصولون على الكافرين وإن كانوا لهم ظالمين ، بل ينبغي إنصافهم والعدل معهم . قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** (١) .

٢- من ضوابط التسامح مع أهل الكتاب ، إقامة العدل ، فعلاقة المسلمين بغيرهم من أهل الأديان ممن لم يقاتلونا، أو يخرجونا من ديارنا ، مبنية على إقامة العدل والإحسان والتسامح ، ولكن مع أن الإسلام يدعو إلى العدل والإنصاف وحسن المعاملة معهم ، لكنه لا يدعو إلى أن نجعلهم بطانة ، وان يتحكّموا في أمور المسلمين، وهم يضمرون لنا العداوة (٢).

٣- الحكمة في الدعوة والمعاملة ، لقد سار أصحاب رسول اللهﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة ، فانتشر الإسلام في عهدهم – رضوان الله عليهم أجمعين- انتشارا عظيما ، ودخل في الإسلام خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وجاء التابعون ، وأكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة وهكذا سارت القرون المفضلة الأولى ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان ، فاظهر الله الإسلام وأهله ، وأذل الشرك وأهله (٣) .

١- سورة المائدة : من الآية ٨ .

٢- ينظر: معاملة غير المسلمين ، للدكتور محمد علي البار ، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ،ص١٢٩،و تسامح الغرب مع المسلمين لعبد اللطيف الحسين ،ص ٤٧ .

٣- المصدر نفسه ص ٤٨-٥١ .

ومن خلال الوقوف على هذه الثوابت التي تكلم عليها العلماء ، والأمور التي حذروا منها ، ولاسيما تلك الدعوات التي تنادي إلى ما يسمى بـ(وحدة الأديان): الإسلام ، ودين اليهود ، ودين النصارى ، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد ، ودعوة إلى طباعة القران والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير تلك الدعوات التي فيها خلط كبير وتنازل عن الثوابت التي ذكرناها سابقا (١)

ويجب التنبيه أيضا على مسالة أخرى ، وهي أن التعايش مع أهل الأديان الأخرى يخضع إلى حالتي السلم والحرب ، فمن لم يحاربنا فله حق السلم والصلة والبر كما قال تعالى: **{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** (٢) ، أما من أعلن الحرب والعدوان على الإسلام والمسلمين فقد نهى رب العالمين من التقارب والتعايش معه ، فقال تعالى **{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** (٣) ، فاليهود الذين حاربوا وقتلوا المسلمين في القدس فلا سلام ولا حوار معهم ، قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**(٤) ، أما من يحتج بان النبيﷺ حاور اليهود ، مع أنهم كانوا يعادونه ؟ فالجواب عن هذا : (أن النبيﷺ كان صاحب الدولة في المدينة وصاحب الكلمة الفصل ، ولم تكن عداوة اليهود إلا

١- ينظر : التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ، ص٦٧ .

٢- سورة الممتحنة : الآية ٨ .

٣- سورة الممتحنة : الآية ٩ .

٤- سورة التوبة : الآية ١٢٣ .

مؤامرات خفية ، واليوم نحن في موقف ضعف واضح ، وعداء اليهود لنا لا يخفى إلا على أعمى البصيرة ، واستعداؤهم الأمم علينا أعظم من أن يخفى ، فالفرق بين الحالتين واضح) (١) ، فما نراه اليوم من دعوة بعض الدول للسلام مع اليهود ما هو إلا تنازل عن الثوابت والضوابط التي وضعناها في آداب التعايش مع غير المسلمين .

بعد ذكر أهم الثوابت التي يمكن الوقوف عليها عند التعايش مع أهل الكتاب وغيرهم من الأديان ، وقبل دراسة أهم النصوص القرآنية التي تحمل آداب التعايش مع غير المسلمين ، ننقل صور من حياة النبيﷺ والصحابة من بعده ، تبرز فيها آداب التعايش مع غير المسلمين، مع مراعاتهم لهذه الضوابط التي ذكرت :

١- لقد أوصى رسول اللهﷺ المسلمين جميعا بأهل الذمة(٢)في عدة أحاديث ، منها:

أ- قال الرسولﷺ : " من قَتَلَ مُعَاهَدًا لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ من مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " (٣).

ب- قال الرسولﷺ : "ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ " (١).

١- التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ،ص ١٣ .

٢- أهل الذمة: (المعاهدون من أهل الكتاب و من جرى مجراهم). المعجم الوسيط للزيات١/٣١٥ ، قال ابن حزم : (هي كلمة توحي بان لصاحبها عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا مع المسلمين آمنين مطمئنين).الحلال والحرام في الإسلام لابن حزم ،ص٣٢٨ .

٣- أخرجه البخاري ٣/١١٥٥، بَاب إِثْمِ من قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ ،رقم الحديث (٢٩٩٥).

جـ – ومن وصايا الرسولﷺ بأهل الكتاب عامة ، واليهود خاصة ، انهﷺ لما قدم إلى المدينة ، كتب معاهدة خاصة بهم تنظم العلاقة بينه وبينهم ، قال ابن إسحاق : (..وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته)(٢)٠

هذه آداب تعايش المسلمين وقت الحروب ، وإذا أردنا أن نقارن بين آداب التعايش هذه مع تعايش غير المسلمين معنا ، فلنقرأ التاريخ ونسأله ما صنعوا (فلنقارن هذه التعاليم والوصايا والمواقف السلوكية بمواقف الآخرين ولننظر ولنسأل بقايا الهنود الحمر في أمريكا ماذا حل بأجدادهم على أيدي غزاة العالم الجديد من مدعي حملة الحضارة الأوربية ، ولنسأل أبناء افريقية ماذا أصاب آباءهم على أيدي الأوربيين وخاصة بعد الكشوف الجغرافية ،.... ولنسأل جبال الجزائر ومغارتها كم قضى فيها قتلا وحرقا وخنقا الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال .. اسألوا محكمة لاهاي الدولية عن القبور الجماعية التي انتشرت في البوسنة والهرسك...)(٣)٠

هذه أخلاقيات الذين حكموا وتسلطوا على المسلمين ، وتلك آداب المسلمين حين تعايشوا مع غيرهم من الأديان ، وشتان بين الفريقين ٠

١– أخرجه أبو داود ١٧٠/٣،بَاب في تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إذا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ ،رقم الحديث(٣٠٥٢)٠

٢– سيرة ابن هشام ٣٤/٣ ٠

٣– الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، للأستاذ هاني المبارك، ،ص٣٢–٣٥ ٠

المطلب الثاني

آداب التعايش مع أهل الكتاب

مما لا شك فيه أن المراد بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والقران الكريم تحدث عنهم في آيات كثيرة ، ودعا المسلمين إلى التحلي بآداب التعايش معهم ما دام لا يوجد منهم تآمر على المسلمين ، وهذا هو المقصود بالتعايش السلمي ، وتتجلى هذه الآداب في ، العدل معهم ، ودعوتهم بالتي هي أحسن ، وعدم إكراههم على الإسلام، ووفاء العهد معهم ، وحفظ أنفسهم وعدم الاعتداء عليها ، وسأتكلم على أهم هذه الآداب من خلال بعض النصوص التي تحمل هذه المعاني :

أولا: آداب التعايش معهم بالعدل ،جاء ذلك في قوله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ٠٠٠٠}** (١) ٠

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية هو أن النبيﷺ ذهب إلى يهود بني النضير ليستعين بهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فوعدوا رسول اللهﷺ ، ثم هموا بغدره، فأعلمه اللهﷻ بذلك، فخرج عنهم ، وأمره اللهﷻ ألا يحمله ما كانوا عليه من الحالة المبغضة لهم على أن يخرج عن الحق فيها قضاء أو شهادة(٢) ٠

١- سورة المائدة : الآية ٨ ٠

٢- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،: مؤسسة الرسالة،(١٤١/٦)٠

في هذه الآية خاطب رب العالمين عباده المؤمنين ، وحثهم على نوعين من التكاليف ، هما تعظيم أمر الله تعالى ، والشفقة على خلقه ، (١) ، والقوام : صيغة مبالغة ، أي ليبالغ أحدكم في إتقانه وإتيانه للشيء على الوجه الكامل ، وان يكون هذا الفعل لأجل الله تعالى ، لا لشيء سواه ، وتعظيما لأمره وطمعا في رضاه وثوابه(٢)، ومن اللطائف انه أمر المؤمنين بالقيام بالقسط الذي يتضمن الاستمرار والدوام ، لان الله يريد من نفس المؤمن أن تتطبع على هذا الفعل وتستمر عليه ، وتدوم عليه من غير انقطاع ؛ لأنه من أحب الأعمال عند الله (٣) ، قال النبيﷺ : ("أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إلى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ") (٤)٠

ومن اللطائف انه (حذف هنا ما أمرنا بالمبالغة في القيام به ، فكان عاما شاملا لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكاليف حتى المباحات ، أي : كونوا من

١- ينظر: مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)ر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (١٤٢/١١)،وزهرة التفاسير : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي (٢٠٥٧/٤) ٠

٢- ينظر: فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ(١٩/٢-٢٠)،و زهرة التفاسير (٤/ ٢٠٥٧)٠

٣- ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٠٥٧/٤ ٠

٤- أخرجه مسلم ٥٤١/١،بَاب فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ من قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ ، رقم الحديث (٧٨٣)٠

أصحاب الهمم العالية وأهل الإتقان والإخلاص لله تعالى في كل عمل تعملونه من أمر دينكم ، أو أمر دنياكم) (١)٠

و الشهادة معناها : (عبارة عن إظهار الحق للحاكم ليحكم به ، أو عن إظهار الحاكم الحق بالحكم به ، أو إظهاره بالإقرار به لصاحبه)(٢)٠

والحق معناه : (بالعدل لا بالجور)(٣) ٠

فيكون معنى قوله سبحانه أن المؤمنين (لا يحكمون إلا بالقسط أي العدل، ولا يشهدون إلا بالعدل ولا يشهدون الزور ، ولا يحضرون ، إلا ما يكون قسطا وعدلا ، وما يكون قسطا مستقيما لا تحيُّف فيه ولا انحراف والمؤدى أن يكون حضورهم في القسط ، ونطقهم بالقسط ، وحكمهم بالقسط ، وعملهم بالقسط ، فلا يكون إلا للخير ، وفي سبيل الخير دائما) (٤)٠

وفي هذا النص إشارة عامة إلى أن آداب تعايش المؤمنين في هذه الحياة مع جميع الخلق تكون بالشهادة بالعدل (والحق والصدق بلا محاباة لمشهود له ، ولا

١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر: ١٩٩٠ م(٦/ ٢٧٣)٠

٢- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ،إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م(٧/ ١٥٠)٠

٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (٣١/٢) ٠

٤- زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤/ ٢٠٥٨ ٠

لمشهود عليه ، لأجل قرابة أو مال أو جاه ، ولا تركه لفقر أو مسكنة أو عداوة ، فالعدل هو ميزان الحقوق ، إذ متى وقع الجور في امة لأي سبب .. زالت الثقة من الناس ، وانتشرت المفاسد ، وتقطعت روابط المجتمع ، فلا يلبث أن يسلط الله عليهم بعض عباده الذين هم اقرب منه إلى العدل ، فيذيقوهم الوبال والنكال ، وتلك سنة الله في حاضر الأمم وغابرها ، ولكن الناس لا يعتبرون) (١) .

وبما أن القسط شامل لكل معاني الخير ، وان العدل ميزان هذا الخير ، قال بعده: ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾ ومعنى الجرم : القطع ، يقال جرم الثمار أي قطعها ، ويطلق أيضا على كسب الآثام ، يقال جرم أي : أذنب واكتسب الإثم (٢) .

فيكون معنى: لا يحملنكم البغض الشديد لقوم على ألا تعدلوا معهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل ، كان تقتلوا نساء وصبية ، وتنقضوا عهدهم تشفيا مما في قلوبكم ، بل أعطوهم حقوقهم ،وكنوهم مما يستحقون (٣).

يقول سيد قطب : (وبهذه المقومات في هذا الدين كان الدين العالمي الإنساني الأخير ؛ الذي يتكفل نظامه للناس جميعا – معتنقيه وغير معتنقيه– أن يتمتعوا في ظله بالعدل ؛ وان يكون هذا العدل فريضة على معتنقيه ، يتعاملون فيها

١– حدائق الروح والريحان ١٥٠/٧ .

٢– ينظر: ، لسان العرب لابن منظور ،مادة (جرم) ٩٠/١٢–٩٢ ،و المصباح المنير للفيومي ١/ ٩٧ .

٣– أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي – بيروت
الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ(٢/ ٣٠٣)، و زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤/ ٢٠٥٩ .

مع ربهم ، مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن .. وإنها لفريضة الأمة القوامة على البشرية ، مهما يكن فيها من مشقة وجهاد)(١)، فالإسلام يحرم أن يكون البغض الشديد حاملا على الاعتداء ، ومنع الحقوق ، بل يعطي كل ذي حق حقه ، ولو كان عدوا مبينا ، ولو أصبحت الدنيا هكذا، لا يعطى الحق فيها إلا لمن على ديننا لفسدت المجتمعات ولدب فيها الكره والبغض ، فالمجتمع لا يمكن أن يستقيم بغير العدل ، والدولة التي يظلم رعاياها غير المسلمين لا تكون دولة الإسلام بل تكون دولة الأعداء(٢) ، روى الإمام الطبراني عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : (إِذا ظُلِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ دَوْلَةَ الْعَدُوِّ) (٣).

يقول الشيخ أبو زهرة : (إن قلب المؤمن في معاملته مع غير المؤمن قد تعتريه حال يرى فيه أن من التقوى إلا يعطيه حقه ؛ لأنه في ميدان القتال يستبيح ماله ويستبيح دمه ، فيظن حال السلم كحال الحرب ، ويظن ذلك قريبا من التقوى ، فبين له القران الكريم أن القرب من التقوى أن يحسن معاملته ، وان يعطى كل ذي حق حقه ، فذلك دفعا للخاطر بمثله ، أو بما يقرب إليه المعنى في التعبير ، ولأن كمال التقوى بعيد

١- في ظلال القران لسيد قطب٢/ ٨٥٢ .

٢- ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤/ ٢٠٥٩ .

٣- أخرجه الطبراني ٢/ ١٨٤، من حديث جابر بن عبدالله ، رقم الحديث(١٧٥٢)،المعجم الكبير،لسليمان ابن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ –١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، قال الهيثمي : (رواه الطبراني وفيه عبد الخالق بن زيد بن واقد وهو ضعيف) ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)المحقق: حسام الدين القدسي: مكتبة القدسي، القاهرة،عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م(٦/٢٥٥).

المنال ، وأنها إذا كانت مطلوبة ، فان الله يعفو عن كمالها ، ويكتفي منا بقربها) ٠(١)

ثانيا: آداب التعايش معهم بدعوتهم بالتي هي أحسن ، جاء ذلك في قوله تعالى:{ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** }(٢) ٠

إن هذه الآية الكريمة يدور موضوعها حول دعوة أهل الكتاب ، وتوضح طريق دعوتهم ومجادلتهم ، والعلاقة معهم عبر التاريخ ، يقول سيد قطب:(إن دعوة الله التي حملها نوحﷺ والرسل من بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين محمدﷺ لهي دعوة واحدة من عند اله واحد ، ذات هدف واحد ، هو رد البشرية الضالة إلى ربها ، وهدايتها إلى طريقه ، وتربيتها بمنهاجه ، وان المؤمنين بكل رسالة لإخوة للمؤمنين بسائر الرسالات : كلهم امة واحدة ، تعبد ألها واحدا ، وان البشرية في جميع أجيالها لصنفان اثنان : صنف المؤمنين وهم حزب الله ، وصنف المشاقين لله وهم حزب الشيطان ،..... هذه الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام ، والتي تقررها هذه الآية من القران ؛ هذه الحقيقة التي ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب ، أو جنس ، أو وطن ، أو تبادل أو تجارة ، ترفعها عن هذا كله لتصلها بالله ، ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان ؛ وتختفي فيها القوميات والأوطان ، ويتلاشى فيها الزمان والمكان، ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان)(٣) ، ففي هذه الآية بين رب العالمين طريقة إرشاد أهل الكتاب بقوله:﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ الجدل

١- زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤/ ٢٠٦٠ ٠

٢- سورة العنكبوت : الآية ٤٦ ٠

٣- في ظلال القران لسيد قطب٥/ ٢٧٤٥ ٠

معناه : شدة الفتل ، يقال جدلت الحبل إذا شددت فتله ، والمجادلة المخاصمة والمناقشة ، وأصل المجادلة المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها ، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم(١) .

قال ابن عاشور:(والمجادلة : مفاعلة من الجَدل ، وهو إقامة الدليل على رأي اختلَف فيه صاحبه مع غيره)(٢).

ومن اللطائف في قوله : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ انه (جيء في النهي بصيغة الجمع ليعمّ النبيﷺ والمسلمين إذ قد تعرض للمسلمين مجادلات مع أهل الكتاب في غير حضرة النبي ﷺ أو قبل قدومه المدينة) (٣) .

قال الإمام الآلوسي : (أي: بالخصلة التي هي أحسن ، كمقابلة الخشونة بالين ، والغضب بالكظم ، والمشاغبة بالنصح ، والسَّوْرَة بالأناة) (٤).

وهنا قد يرد تساؤل ، هو لماذا أهل الكتاب يجادلون بالحسنى ، دون المشركين ؟

الجواب : هو أن المشركين جاءوا بالمنكر من القول ونسبوا إلى الله ما لاينبغي من الشريك والولد ، واظهروا الصلابة والغلظة ، فظهر منهم ما أيأس من إقناعهم ، أما أهل الكتاب فقد اعترفوا بالله وأنبيائه ، لكنهم أنكروا نبوة محمدﷺ وقالوا أن

١- ينظر:لسان العرب لابن منظور ،مادة(جدل)(١٠٣/١١).

٢- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ(٥/٢١) .

٣- التحرير والتنوير لابن عاشور ٥/٢١ .

٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ(٢١/ ٢).

شريعتهم باقية على وجه الدهر لا تنسخ بشريعة أخرى ، فينبغي إقناع مثل هؤلاء بالحسن من القول ولفت أنظارهم إلى الأدلة الباهرة الدالة على نبوته وصدق رسالته بما يكون لهم فيه مقنع وبما تأملوا فيه وصلوا إلى الصواب وأدركوا الأمر على الوجه الحق ، ثم إن آداب دينهم وكتبهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة ، فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ ، حذرا من تنفيرهم (١)٠

إن أول آداب التعايش التي تتجلى في هذا النص ، هو أسلوب القران في دعوة أهل الكتاب ، فقد أعطاهم ميزة خاصة دون غيرهم فخاطبهم بأهل الكتاب ، وذلك ليستميل قلوبهم إلى دين الإسلام ، ويعطيهم علامة على أن هذا الدين هو مكمل لما سبقه من الأديان ، ولا يفرق بينها ، وهذا الأسلوب من أهم أساليب دعوة أهل الكتاب، يقول الدكتور عبد الرحمن عطبة :(يجب أن لا يغيب عن الأذهان أن الإسلام إمعانا منه في بر اليهود والمسيحيين ، سماهم "أهل الكتاب" تمييزا لهم عن المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله ، فكان نداء القران لهم دائما بصيغة :" يا أهل الكتاب " أو بصيغة : " يا أيها الذين أوتوا الكتاب " تأكيدا للوشائج القائمة بين الرسالات السماوية كلها)(٢)، ولا شك هي من المجادلة بالتي هي أحسن الذي أمر به رب العالمين في هذه الآية الكريمة، فان وصف الإنسان بكلمة لا يحبها سبب في نفرته ، وعدم استجابته لما يدعى اليه٠

١- ينظر : تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م(٢١/ ٤)،و التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/ ٦ ٠

٢- الإسلام والآخر ، للدكتور عبد الرحمن عطبة ، دار الأوزاعي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ص٤٤ ٠

ومن آداب التعايش مع أهل الكتاب دعوتهم لكل معاني الحسن ، بان نختار الكلمة الجميلة التي تدل على سماحة الإسلام وسعة رحمته ، ونبتعد عن الاستخفاف بآرائهم وأفكارهم ، وان نلين الكلام معهم من غير خضوع وذل (١)،وقد بين الإمام السعدي آداب التعايش معهم بدعوتهم بالتي هي أحسن فقال : (بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك ، وان لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق) (٢).

ثالثا: من آداب التعايش معهم عدم إكراههم على الإسلام ، جاء ذلك في قوله تعالى: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**(٣) .

وقد ذكر المفسرون عدة روايات في سبب نزولها ، كلها تدور حول معنى واحد، هو محاولة إكراههم لغيرهم على الدخول إلى الإسلام فنزلت هذه الآية محذرة لهم من ذلك (٤).

وبما أن الإسلام قد دعا إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، قد يتوهم احد أن هذه الدعوة تبيح له إكراه المخالفين لنا للدخول في الإسلام ،فقال تعالى مخاطبا لعباده : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ لا: نافية للجنس جيء بها لقصد العموم ،

١- ينظر: حدائق الروح والريحان ٢٢/ ١٤ .

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م(١/ ٦٣٢) .

٣- سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

٤- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري٣/ ١٥،و تفسير المراغي ٣/ ١٦ .

ونفي الإكراه خبر في معنى النهي ، فيكون المعنى المراد : نفي أسباب الإكراه في حُكم الإسلام ، فأعطى هذا النفي دليلا على أن الإكراه على الدين بكل أنواعه باطل (١)،قال سيد قطب:(التعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق... نفي الجنس كما يقول النحويون .. أي نفي جنس الإكراه .)(٢) .

قال البيضاوي، الإكراه : (إلزامُ الغيرِ فعلا لا يَرى فيه خيراً يَحْمِلُه عليه)(٣)

وقال ابن عاشور، الإكراه : (الحمل على فعل مكروه ، فالهمزة فيه للجعل ، أي جعله ذا كراهية ، ولا يكون ذلك إلا بتخويف وقوع ما هو اشد كراهية من الفعل المدعو إليه) (٤).

يقول الدكتور أمير عبد العزيز:(هكذا يعامل الإسلام أهل الكتاب ، سواء فيهم النصارى أو اليهود أو المجوس . يعاملهم بالتكريم والحسنى . أو يعاملهم بخلق الإسلام حيث الرحمة والبر والعدل . وإذا ما قورن مثل هذه المعاملة بمعاملة أهل الكتاب للمسلمين في الزمن الغابر أو الراهن فلا جرم أن نجد البون هائلا شاسعا . ولعمري إن مجرد المقارنة ضرب من الحيف يصيب المسلمين فوق ما أصابهم من ويلات وآلام قد تفنن النصارى واليهود غابرا وراهنا في إنزالها بالمسلمين بدءا بالمحق والإبادة والإكراه على اعتناق النصرانية في الأندلس ، ومرورا بالمذابح الرهيبة التي أوقعها الصليبيون بالمسلمين في فلسطين) (٥).

١- ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٣/٢٦) .

٢- في ظلال القران لسيد قطب١/ ٢٩١ .

٣- تفسير البيضاوي١/٥٥٧ .

٤- التحرير والتنوير لابن عاشور٣/ ٢٥ .

٥- حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد، مطبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ت ، ص١٢٠ .

ولذلك لم يكن أمام هذه الصور الرائعة التي رسمها المسلمون من خلال تعايشهم مع غيرهم إلا أن يعلنوا أن الإسلام هو الوحيد الذي استطاع ان يجمع بين التحمس والتسامح ، بين الرحمة والسيف ، يقول روبرتسون : (ان اتباع محمد ﷺ هم الامة الوحيدة التي جمعت بين التحمس في الدين والتسامح فيه . أي: انها مع تمسكها بدينها لم تعرف إكراه غيرها على قبوله) (١).

ثم بين رب العالمين سبب عدم الإكراه على الدين فقال:﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الرُشْدُ : يراد به (الصلاح ، وهو خلاف الغي والضلال ، وهو إصابة الصواب)(٢).

والغي: يراد به الضلال والخيبة (٣) .

فيكون المعنى أن دين الإسلام هو دين الرشد والفلاح ، دين الحق والصلاح ، وان من خالفه من الملل الأخرى غيّ وضلال وبعد عن الحق والصواب(٤).

١- تسامح الإسلام وتعصب خصومه ، للدكتور شوقي أبو خليل ، منشورات مؤسسة مي للطباعة والتوزيع – دمشق ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ- ١٩٩٠م ، ص ١٢٣ .

٢- المصباح المنير للفيومي ١/ ٢٢٧ .

٣- ينظر :لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٤٠ .

٤- ينظر: تفسير المراغي ٣/ ١٧ .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة مع آداب التعايش مع اهل الكتاب في رحاب القران الكريم نستطيع أن نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها ، وهي:

١- إن القران الكريم أولى جانب الدعوة اهتماما كبيرا ، وان دعوة كل الأنبياء كانت باللطف واللين وخفض الجناح ، واستعمال الألفاظ التي فيها استمالة للقلوب والعقول.

٢- شملت آداب التعايش جميع أفراد المجتمع ونواحي الحياة ، فالقران يريد لأفراد المجتمع ان تتماسك لبناته ، فاليتيم الذي فقد من حنان الأبوة لم يفقد حنان الشرع ، ووضع للصحبة لعلماء والصالحين آدابا ، ثم ارشد إلى آداب أخرى تزيد من لحمة المجتمع وتماسكه فأمرهم بالتحية بالسلام فإنها تزرع المحبة في القلوب ، وأرشدهم إلى الصفح عن الزلات لان تتبع الهفوات يقلل من روابط المجتمع.

٣- إن المسلمين اليوم لا يعيشون في داخل البلاد المسلمة وحدهم ، فقد أصبحت البلاد الإسلامية تضم في داخلها النصراني واليهودي والبوذي والملحد ، إلى غيرها من الطوائف غير المسلمة ، فلابد أن يختلط بهم المسلم ويعيش معهم في داخل مجتمعه ضمن ضوابط وثوابت تجمع بين الاثنين من غير بغي وعدوان.

٤- دعا القران الكريم إلى آداب التعايش مع غير المسلم غير المحارب ، بالعدل معه ومجادلته بالتي هي أحسن ، واحترامه كانسان له حق الحياة .

٥- الإسلام دين دعوة لا دين سفك وقتل وتشريد ، فأعطى لكل البشر قيمته وحفظ حقه في الحياة.

٦- ليس من آداب التعايش استفزاز الآخرين وتهييجهم ضد الإسلام بسب معتقداتهم، فلو فتح باب الطعن والشتم لتمزقت المجتمعات ، ولسالت دماء الأبرياء .

٧- إن فتح باب التعايش مع غير المسلمين هو فتح لباب الدعوة ، فالمستأمن عندما يدخل البلاد الإسلامية فيسمع القران الكريم ، ويرى أخلاق المسلمين ، قد يؤثر ذلك في قلبه فيدخل الإسلام ، فعلى الدعاة استغلال مثل هذه الفرص في الدعوة.

هذه أهم ما توصلنا إليه من نتائج في هذا البحث، سائلين المولى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم . وان ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ – آداب التحية والسلام في الإسلام ، لفاضل النجادي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى :١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢ – الإسلام والآخر ، للدكتور عبد الرحمن عطبة ، دار الأوزاعي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٣ – الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، للأستاذ هاني المبارك، والدكتور شوقي أبي خليل، دار الفكر – دمشق،الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٤ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥ – التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٦ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧ – تسامح الإسلام وتعصب خصومه ، للدكتور شوقي أبو خليل ، منشورات مؤسسة مي للطباعة والتوزيع – دمشق ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ- ١٩٩٠م.

٨ – تسامح الغرب مع المسلمين ، لعبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين ، دار ابن الجوزي – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٩ – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٠ – تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١١ – تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٢ – التقارب والتعايش مع غير المسلمين ، للدكتور محمد موسى الشريف ،دار ابن كثير– دمشق–بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

١٣ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٤ – جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م،: مؤسسة الرسالة.

١٥ – الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٦ – حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ،إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٧ – حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور أمير عبد العزيز ، دار السلام –القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

١٨ – حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد، مطبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ت.

١٩ – الحوار من اجل التعايش ، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار الشروق– القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٢٠ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢١ – زهرة التفاسير : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٢ – غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة – ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران٠

٢٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب٠

٢٤ – فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ٠

٢٥ – القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة-بيروت٠

٢٦ – لسان العرب،لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى٠

٢٧ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)المحقق: حسام الدين القدسي: مكتبة القدسي، القاهرة،عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م٠

٢٨ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر أيوب ألزرعي أبي عبد الله المعروف بابن القيم ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة: الثانية ، تحقيق: محمد حامد الفقي٠

٢٩ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت٠

٣٠ – معاملة غير المسلمين ، للدكتور محمد علي البار ، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م٠

٣١ – معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون٠

٣٢ – مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)ر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ٠

٣٣ – مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨)،دار الشعب – القاهرة(بدون تاريخ)٠

٣٤ – ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان٠